

الكشاف

ثم كرر الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه تقريراً وتأكيذاً عليهم ولذلك جاء به مصدراً بالقسم لأنه الغاية في التأكيد وأبدل عن قوله : " لكم " قوله : " لمن كان يرجو الله " واليوم الآخر " وعقبه بقوله : " ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد " فلم يترك نوعاً من التأكيد إلا جاء به .

" عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم . " ولما نزلت هذه الآيات : تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين ومقاطعتهم فلما رأى الله D منهم الجد والصبر على الوجه الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم المولاة والمواصلة . رحمهم فوعدهم تيسيراً ما تمنوه فلما يسر فتح مكة أظفروهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم . وقيل : 1160 تزوج رسول الله A أم حبيبة فلانت عند ذلك عريكة أبي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت أم حبيبة قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبد الله بن أبي جهش إلى الحبشة فتنصر وأرادها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله A إلى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه إليها مهرها أربعمئة دينار وبلغ ذلك أباها فقال : ذلك الفحل لا يقدر أنفه . و " عسى " وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج : عسى أو لعل . فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك . أو قصد به إطماع المؤمنين والله قدير على قلب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة " والله غفور رحيم " لمن أسلم من المشركين .

" لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . " " أن تبروهم " بدل من الذين لم يقاتلوكم . وكذلك " أن تولوهم " من الذين قاتلوكم : والمعنى : لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء . وهذا أيضاً رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير إسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم يهاجر منهم بقتال المؤمنين وإخراجهم من ديارهم . وقيل : أراد بهم خزاة وكانوا صالحوا الرسول A على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه . وعن مجاهد : هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا . وقيل : هم النساء والصبيان . وقيل : 1161 قدمت على أسماء بنت أبي بكر أمها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن إليها . وعن

قتادة : نسختها آية القتال " وتقسطوا إليهم " وتقضوا إليهم بالقسط ولا تظلموهم . وناهيك بتوصية القرآن المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم أخيه المسلم .

" يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنوهن القرآن أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وأتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا أتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر وسئلوا ما أنفقتم وليسئلوهم ما أنفقوا ذلكم حكم القرآن يحكم بينكم وإنا عليم حكيم . وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتهم فأتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا القرآن الذي أنتم به مؤمنون . " " إذا جاءكم المؤمنات " سماهن مؤمنات لتصديقهن بألسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك . أو لأنهن مشارفات لثبات إيمانهم بالامتحان " فامتنوهن " فابتلوهن بالحلف والنظر في الأمارات ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهن